الترخص في التطابق
دراسة تطبيقية موازنة بين المعلقات والشوقيات

إعداد

د/ شريف عطية مصطفى سيد أحمد راجح

مفهوم التطابق:

يقصد بلفظ المطابقة في اللغة التماثل والتساوي، جاء في اللسان: "وتطابق الشيئان تساويا، والمطابقة الموافقة، والتطابق الاتفاق، وطابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حذوٍ واحدٍ وألزقتهما، وهذا الشيء وفق هذا ووفاقه وطباقه وطابقه وطبقه طبيقهُ ومطبقة وقالبه، بمعنى واحد"[١٢٩].

وتعرف المطابقة في الاصطلاح بأنها مجموعة من العناصر اللغوية التي تؤدي وظائف متماثلة أو متشابهة، أو تدل على معانٍ نحوية، كالإعراب من رفع ونصب وجر، وكالعدد من إفراد وتثنية وجمع، وكالتعريف والتنكير، وكالجنس من تذكير وتأنيث، وكالشخص من تكلم وخطاب وغيبةٍ[١٣٠].

ويدرس التطابق من خلال هذا التعريف بعض المعاني الوظيفية التي تؤديها العناصر اللغوية كالتذكير والتأنيث والتعريف والتنكير والإفراد والتثنية والجمع، وأثر هذه المعاني في ترابط الجملة حتى يتحقق التركيب. فينظر للكلمات داخل الجملة على أنها كيان واحد "فالنص اللغوي الحي وحدة متلاحمة من صورته المنطوقة ونظامه النحوي الذي يحكمه. وصورته المنطوقة هي (مفرداته) المصوغة في الجملة، بكل خصائص هذه المفردات وقوانينها الصوتية والصرفية ودلالاتها المعجمية الأولية الموضوعة لها[١٣١]".

فشدة الترابط والتماسك بين الكلمات تعني شدة تماسك التركيب، فالكلمات هي جوهر البناء في اللغة والتطابق بينها يساعد على معرفة العلاقة بين الكلمات، فالكلام بعيداً عن التراكيب يفقد

---

[١٢٩] لسان العرب: ١٠ / ٢٠٩-٢١٠ مادة (طبق).

[١٣٠] فراس عصام شهاب السامرائي: المطابقة في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم – **رسالة ماجستير**، كلية الآداب– جامعة البصرة، ٢٠٠٥م، ١٣.

[١٣١] محمد حماسه عبد اللطيف: **النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي – الدلالي**، القاهرة: دار الشرق، ط١، ٢٠٠٠م، ١٦١، ١٦٢.

حيويته، ويفقد الثبات والترابط المنطقي، فالمفردات داخل الجملة تحكمها علائق محددة بانتظام وبذلك تتحقق الفائدة من الكلام، وقد ناقش ذلك سيبويه في باب (المستقيم والقبيح[١٣٢])، حيث إن عملية الاتصال تجمع العلاقة بين أطراف الاتصال الأساسيين (نص– منتج – متلق)، و"اللغة ليست شكلاً ساكناً، بل هي قوة أو طاقة مؤثرة، حيث إنها تضع محتوى الأفكار الممكنة في كلمات وتركيبات...وبذلك يمكن التوصل إلى المعنى الدقيق للكلمة، من خلال تحديد عدد من العناصر أو المكونات أو الملامح الدلالية التي تميزها عن غيرها. ويدخل في تكوين هذه العملية المعقدة النحو والدلالية والسياق[١٣٣]".

فالتطابق داخل النص، لا يتوقف عند كلمات النص وتحليلها في مستويات الدرس اللغوي من أصوات وصرف ونحو ودلالة فحسب، وإنما يتوقف على الدور الذي يقوم به في الاتصال الإنساني.

"ينكر بعض اللغويين أن تكون اللغة تكتسب في شكل كلمات مفردة، أو أن يكون المتكلم على وعي بالكلمات مفردة حين يتكلم[١٣٤]".

ولا تتحقق هذه الطاقة إلا بالمطابقة كنظام للجملة العربية، يتحقق من خلال هذا النظام المعرفة، بما له من تأثير في تحقيق الانسجام داخل أجزاء التركيب "وتكون المطابقة فيما يأتي:

١– العلامة الإعرابية. ٢– النوع (التذكير والتأنيث).

٣– العدد (الإفراد والتثنية والجمع). ٤– التعيين (التعريف والتنكير)

---

[١٣٢] يراجع في ذلك سيبويه: **الكتاب**، تحقيق: محمد كاظم البكاء، ٢مج، بيروت: مؤسسة الرسالة، الأردن: دار البشير، ط١، ٢٠٠٤م، ج١، ٣٦.

[١٣٣] سعيد حسن بحيري: **علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)**، القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط١، ١٩٩٧م، ٢١-٢٥.

[١٣٤] ماريوباي: **أسس علم اللغة**، ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، القاهرة: عالم الكتب، ط٨، ١٩٩٨م، ٥٥.

٥- الشخص (التكلم والخطاب والغيبة)[١٣٥]".

التزم الشعراء بالعلامة الإعرابية، من أجل بناء البيت الشعري، فقد خرجوا عليها للسبب نفسه، فالنص الشعري في تركيبه يحمل عديداً من الدلالات، ذلك لأن فهم النص قائم على أساس التركيب، ولكننا نجد أن الشاعر يلتزم ببناء الجملة والتركيب وتارة أخرى يخرج عن هذا التركيب لينقل لنا معنى دلاليا:

"إن كل معنى في القصيدة –مهما قيل في روافده– نابع أولاً وأخيراً من طريقة بنائها، وبناؤها يقوم على جمل ذات علاقات بين أجزاء الجملة الواحدة من جانب وبين الجملة الأخرى من جانب آخر. وكل ما يقال عن التصوير الفني وغيره آت في أصله من طريقة التركيب[١٣٦]". فقد خرج شعراء المعلقات عن المعروف في بناء الجملة من حيث العلامة الإعرابية، وقد عرضنا لذلك في الفصل الخاص بالترخص في العلامة الإعرابية.

وهذا الفصل يعد وسيلة لكشف نوع آخر من الترخص الذي يصيب العلامة الإعرابية من ناحية أخرى، بحيث تتوجه قرينة العلامة من المفرد إلى الجمع، أو من علامة للمذكر إلى أخرى للمؤنث...الخ والعكس. وهذا يفتح أفقاً للبحث العلمي مبنيا على أفق الشاعر ومقدرته اللغوية في هذا التجوّز، وليس الضرورة في كثير من الأحيان. ويتوجه اهتمام البحث إلى فحص ما يَخْرجُ الشعراء عليه من مألوف الانسجام القائم بين التراكيب اللغوية. والمقصود هنا الحديث عن الترخص الذي يصيب العدد (الإفراد والتثنية والجمع) والنوع (التذكير والتأنيث)، والتعيين (التعريف والتنكير).

---

[١٣٥] تمام حسان: **اللغة العربية معناها ومبناها**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٧٩م

[١٣٦] محمد حماسه عبد اللطيف: فاعلية المعنى النحوي في بناء الشعر"، مجلة **(دراسات عربية وإسلامية)** سلسلة أبحاث جامعية يشرف على إصدارها الدكتور حامد طاهر، دت، ١٤٣.

وفيما يأتي مناقشة الكيفية التي خرج بها الشعراء في المعلقات والشوقيات على السواء، بحيث نعرض لهذا التنوع الأسلوبي بين النصين:

١. الترخص في التطابق في المعلقات:

١-١. الترخص من حيث العدد:

ويختص العدد في اللغة بتوحيد وتنميط الاتجاه اللغوي في التعبير بالمفرد أو المثنى أو الجمع. وتختبر الدراسة مدى التوافق القائم لدى مؤلفي النصوص (الشعراء) من حيث الكفاءة اللغوية والمقدرة التي تعبر تعبيراً أسلوبياً واضحاً عن التوجه العام نحو اختراق القاعدة النحوية التي تنظم القرينة الإعرابية المبنية على تغير العدد.

ويتم الكشف عن أشياء من الشهرة التي يختفي معها الحس الجدلي في البحث الذي يسعى خلف حقيقة الأشياء، ومن ذلك مطلع معلقة امرئ القيس، على شهرته شعرا وشاهدا نحوياً وبلاغياً:

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ بِسِقطِ اللِوى بَينَ الدَخولِ فَحَومَلِ[١٣٧]

حيث يخاطب بكلمة (قِفا) المفرد بلغة المثنى، وقيل خاطب صاحبيه، وقيل بل خاطب واحدا وأخرج الكلام مخرج الخطاب مع الاثنين، لأن العرب من عادتهم إجراء خطاب الاثنين على الواحد والجمع، ومن ذلك قول الشاعر:

فإن تزجراني يا بن عَفَّانَ أَنزَجِرْ وَإِنْ تَدَعَانِي أَحمِ عِرْضا مُمَنَّعَا

[١٣٧] الزوزني: **شرح المعلقات السبع**، القاهرة: مكتبة المتنبي، دت، ٧.

حيث خاطب الواحد خطاب الاثنين، وإنما فعلت العرب ذلك لأن الرجل يكون أدنى أعوانه اثنين، راعي إبله وراعي غنمه، ويجوز أن يكون المراد به: قف قف، فإلحاق الألف أمارة دالة على أن المراد تكريم اللفظ كما قال أبو عثمان المازني في قوله تعالى: ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون ٩٩ ﴾ (سورة المؤمنون) المراد: أرجعني أرجعني أرجعني[١٣٨]. والقول الثالث: أن يكون أراد (قفن) بالنون، فأبدل الألف من النون، وأجرى الوصل على الوقف...وكان الحجاج بن يوسف (٤١-٩٥هـ) إذا أمر بقتل رجل قال: "يا حرسي اضربا عنقه[١٣٩]" قال أبو بكر اضربن، فأبدل الألف من النون، وقال الله عز وجل: ﴿... لنسفعا بالناصية ١٥﴾ (سورة العلق).

يقول امرئ القيس:

وَتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيرِ شَثْنٍ كَأَنَّه أَسَارِيعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيكِ إِسحَلِ[١٤٠]

---

[١٣٨] المرجع نفسه، ٧. ومنه قوله تعالى في سورة (ق): ﴿ ♦✌♣◆□﴾ ✂☒❶❸♎♣ ❶🡐❍↖ⓒ❸❷♦♣ ♦✌♣♦◆□ ♣♦❶✍❶♣♎□🕮 ➘❾❿♎♪♦↖ ❶❽♦♣✍♦♣ ♣♦✌ □♣↗ ♦⊗⅄➔♎♑♎♉ ❼✍✖ ♣◆❶✍❶♣♎□🕮 ➘❾❿♎♪♦↖ ✌❶♣⊙▣♦🖹. وورد في تفسير القرطبي (ت ٦٧١هـ) (الجامع لأحكام القرآن) حول هذه الآية: قَالَ الْخَلِيلُ وَالْأَخْفَشُ: هَذَا كَلَامُ الْعَرَبِ الْفَصِيح أَنْ تُخَاطِبَ الْوَاحِدَ بِلَفْظِ الِاثْنَيْنِ فَتَقُولُ: وَيْلَكَ ارْحَلَاهَا وَازْجُرَاهَا، وَخُذَاهُ وَأَطْلِقَاهُ لِلْوَاحِدِ. قَالَ الْفَرَّاءُ: تَقُولُ لِلْوَاحِدِ قُومَا عَنَّا، وَأَصْلُ ذَلِكَ أَنَّ أَدْنَى، أَعْوَانِ الرَّجُلِ فِي إِبِلِهِ وَغَنَمِهِ وَرُفْقَتِهِ فِي سَفَرِهِ اثْنَانِ فَجَرَى كَلَامُ الرَّجُلِ عَلَى صَاحِبَيْهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ لِلْوَاحِدِ فِي الشِّعْرِ: خَلِيلَيَّ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا صاح. قال امرؤ القيس:

خَلِيلَيَّ مُرَّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدَب نُقَضِّ لُبَانَاتِ الفُؤَادِ الْمُعَذَّبِ

شمس الدين القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن،** تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤، مج ١٧، ١٦.

[١٣٩] ابن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،** تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ج٢، ١٩٧٢م، ٣٨.

[١٤٠] الزوزني: شرح المعلقات السبع، ٢٤.

ومعنى الكلام: وتعطو ببنان رخْص كأنه أساريع، عبر عن المفرد بالجمع وخَصَّ واحدا ووصفه بأساريع، وهي جمع ولم يقل: برخص أسروع، وأساريع: خبر كأنه والهاء عائدة على رخص قبلها. ولكن هل من باب المبالغة أن نربط بين هذا الترخص العددي وضرورة الشعر التي يفرضها وزن الطويل: فعولن مفاعيلن (//o/o أساري – //o/o/o عظبينأو)، لأنها لو كانت على التحول المذكور من (كأنه أسروع) لاندثرت تفعيلة الطويل فيها (أسروع ظبين / o/ o// o/ o)، وانكسر البيت. ولذلك فإن الضرورة هنا لها دور محتمل في توجيه الشاعر إلى اختيار لغة الجمع للتعبير عن المفرد. أضف إلى ذلك العامل البلاغي الذي يفسر هذا الأمر على مستوى المقارنة التي يفرضها بناء التشبيه.

وكذلك الإيقاع كعامل أساسي للشعر "فاختفاء الإيقاع كعامل أساسي موجه في لغة الشعر يؤدي بدوره إلى اختفاء خاصية الشعر الأساسية، مما يبرز بوضوح دوره البناء في تكوين البيت الشعري[١٤١]".

ومن هذا العدول المعنوي الذي نقرأ فيه التحول عن تتابع العدد واتحاده، قول امرئ القيس:

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا عَوَى إِنَّ شَأْنَنَا قَلِيْلُ الغِنَى إِنْ كُنتَ لَمَّا تَمَوَّلِ[١٤٢]

فحقيقة الكلام أن الحديث عن اثنين، الشاعر والذئب، فيمكن توجيه البيت معنويا إلى اعتبار التعبير الناتج هنا على مستوى لغة الشعر يعبر عن المثنى بالمفرد، ذلك لأن الحديث يستوجب أن يقول: قليلاَ الغنى، هذا حتى لو استقامت القاعدة النحوية التي عبر بها الشاعر، بأن تكون (قليل) خبرا مرفوعا وعلامة رفعه الضمة الظاهرة. ولكن إذا عدنا إلى البناء اللغوي

[١٤١] صلاح فضل: **نظرية البنائية في النقد الأدبي**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ٢٠٠٣م ، ٥٠.

[١٤٢] الزوزني: شرح المعلقات السبع، ٢٩.

الشعري الذي عبر به الشاعر هنا، لأدركنا صحة ما يقول على المستويين اللغوي والشعري، فالحديث عن (الشأن) بالمفرد أمر واضح وصحيح. وعلى هذا الوجه الأخير يخلو التعبير من الشاهد.

ومنه قول امرئ القيس أيضاً:

يَـزِلُّ الغُـلَامَ الخِـفَّ عَـنْ صَـهَوَاتِهِ وَيُلْـوِي بِـأَثْوَابِ العَنِيـفِ المُثَقَّـلِ(١٤٣)

عبر الشاعر بكلمة (صهواته)، وللفرس صهوةٌ واحدةٌ، فعبَّر عن المفردِ بِلُغَةِ الجَمْع، والصهوةُ هي مقعد الفارس: وإنما عبر بصهواته، ولا يكون للفرس إلا صهوة واحدة، لأنه لا لبس فيه فجرى الجمع والتوحيد مجرى واحدا عند الاتساع لأن إضافتها إلى ضمير الواحد تزيل اللبس كما يقول: رجل عظيم المناكب وغليظ المشافر، ولا يكون له إلا منكبان وشفتان(١٤٤).

ويبدو أن عامل الخروج عن فصيلة (العدد) واضح في هذا المثال، وقد يبدو غير ضروري ربطه وتفسيره بالضرورة الشعرية، فتفعيلة العروض المقبوضة (بحر الطويل) فعولن – //o//o – هواتهي – مفاعلن) لا تتحقق على الإطلاق، في حالة اتّباع العدد وتوحيده. فلو فرضنا أن قول الشاعر أتى على الإفراد (صهوتهي – /o///o)، لما تحققت تفعيلة العروض على مفاعلن، ولما قام وزن البيت على الطويل التام.

ومن ذلك قول طرفه:

وطَـــيّ مَحـــالٍ كـــالحَنيّ خُلُوفُـــهُ وأَجرِنـــةٌ لُـــزَّتْ بِـــدَأْيٍ مُنَضَّـــدِ(١٤٥)

(١٤٣) المرجع نفسه، ٣٢.

(١٤٤) المرجع نفسه، ٣٢.

(١٤٥) المرجع نفسه، ٥١.

و(الأجرنة): جمع جِران، وهو باطن العنق، وليس للناقة إلا جران واحد، وقد جمعه بما حوله، كما يقولون: امرأة عظيمة الأوراك، وإنما لها وركان...الخ. ومثله في ذلك مثل قول امرئ القيس: **(يَزِلُّ الغُلَامَ الخِفَّ عَنْ صَهَوَاتِهِ...)**. فكما للناقة جران واحد، فما للفرس إلا غطاء ظهر واحد. ويتضح في مثال طرفة بن العبد، أن الخروج ليس على القاعدة النحوية، بل إنه خروج على المألوف من قواعد اللغة.

ومن ذلك قوله أيضا:

فَـذَالَتْ كَمَـا ذَالَـتْ وَلِيـدَةُ مجلـسٍ ثُـرِي ربَّهـا أذيـالَ سَـحْلٍ مُمَـدَّد(١٤٦)

فاللغة الأدبية يتحول معها العدد في التعبير عن الجمع بالمفرد، وبالمفرد عن الجمع. فقول طرفة: (أذيال سحل...) يعني ذيل الثوب بالسحل هو الثوب الأبيض، والثوب له ذيل واحد ولكن قول الشاعر: (أذيال سحل) يعبر عن المفرد بلغة الجمع.

ويظهر ذلك واضحا في معلقة زهير حين يقول:

بِهَـا الْعِـينُ والأرآمُ يَمشِـينَ خِلْفَـةً وأطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مجثَمِ(١٤٧)

في قوله: "العين والأرآم يَمْشِينَ خِلفة" العين المقصود بها (البقر العِين) فحذف، الموصوف لدلالة الصفة عليه، والأرام جمع رئم، فالعين والأرآم جمع وكلمة خلفة مفرد، وربما كان عليه أن يقول (يمشين خلائف)، ولكن زهيرا قال: يمشين خلفة، ومنه قول الله تعالى:﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ٦٢﴾ (سورة الفرقان) يريد أن كلا منها يخلف صاحبه.

(١٤٦) المرجع نفسه، ٥٧.

(١٤٧) الزوزني: شرح المعلقات السبع، ٧٤.

وإلى ذلك يضيف ابن جرير الطبري: "والخِلْفة مصدر، فلذلك وحدت، وهي [أي: خلفة] خبر عن الليل والنهار[١٤٨]. وكذلك الحال في قول زهير السابق، حيث إن (خلفة) مصدر، ولذلك وحدت.

وقوله:

بَكَّرْنَ بُكُورًا واستَحَرْنَ بِسُحْرةٍ فَهُنَّ وَوَادِي الرَّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَمِ
وَفِيهِنَّ مَلْهًى لِلَّطِيفِ وَمَنْظَرٌ أنيقٌ لِعَينِ النَّاظِرِ المُتَوَسِّم[١٤٩]

قول الشاعر: فيهن ملهى للطيف ومنظر، فقال: (منظرٌ)، والأصل أنها مناظر كثيرة، ذلك لأنهن نساءٌ كُثر قاصدات لوادي الرسِّ لا يخطئنه كاليد القاصدة للفم لا تخطئه، فعبر عن هذا الجمع بالمفرد، على سبيل المعنى، وإن كان مقبولا من حيث البناء اللغوي والمعنوي وجود الإفراد تعبيرا عن الجمع في البيت الثاني، إذ هو منظر واحد يجمع هذه الصورة الحركية التي يرسمها الشاعر. وربما كان على هذا التأويل القريب القول: فيهن ملهى للطيف ومناظر.

وفي المثال الآتي يبدو الخروج على مقتضى العدد واضحا:

تَدَارَكْتُمَا عَبسًا وذُبْيَانَ بَعدَما تفانوْا وَدَقُّوا بَينَهُمْ عِطرَ مَنشَمِ[١٥٠]

فقد تحدث الشاعر عن المثنى بلغة الجمع، فالشاعر يتحدث عن عبس وذبيان، وهما قبيلتان، فتحدث عنهما في الشطر الثاني بلغة الجمع فقال: (تفانوا ودقوا بينهم). وهذه المخالفة واضحة في هذا الشاهد، إذ إن الحديث عن اثنين، تفعيلة الطويل الأولى في الشطر الثاني (//o/o – تَفَانَوْا – فعولن). أما في حالة التعبير بالمثنى، فلا يتوصل إلى تفعيلة الطويل.

---

[١٤٨] تفسير الطبري، تفسير سورة الفرقان، ص ٣٦٥. وما بين المعقوفتين من إضافة الباحث للتوضيح.

[١٤٩] الزوزني: شرح المعلقات السبع، ٧٦.

[١٥٠] المرجع نفسه، ٧٨.

ويتضح ذلك في قوله:

فَأَصــبَحَ يَجــرِي فِــيهِمُ مِــنْ تِلَادِكُــمْ مَغــانمُ شّــتَّى مِــنْ إِفَــالٍ مُــزَنَّمِ[١٥١]

و(إفال): جمع (أَفِيل) وهو الصغير السن من الإبل، المزنَّم: المعلم بزنمة، فوصف الجمع بالمفرد فاختلف الأسلوب هنا من حيث العدد، كان عليه أن يقول: المزنمة "وإن كان صفة الإفال حملا على اللفظ لأن فعالا من الأبنية التي اشترك فيها الآحاد والجموع. وكل بناء انخرط في هذا السلك ساغ تذكيره حملاً على اللفظ[١٥٢]". أي حملا على الشكل الذي يرد عليه البناء.

ولا يمكن ربط هذا البيت بضرورة الشعر، ذلك على الرغم من التحول الواضح الذي يظهر عليه. فقوله: (إفالٍ – إفالن – //o/o) لا يختلف عن قول على الإفراد (أفيل – //o/ o) من حيث كمية الحركات والسكنات، ولكن الشاعر أراد التعبير بالجمع. وقد ورد في لسان العربي أن صيغة (أفيل) من صيغ الجمع: "والأَفِيل الفَصِيل؛ والجمع إِفَال لأَن حقيقته الوصف، هذا هو القياس، وأَما سيبويه، فقال: أَفِيل وأَفائل، شبهوه بذَنُوب وذَنائب[١٥٣]".

---

[١٥١] المرجع نفسه ، ٨٠. وردت رواية أخرى لهذا البيت في كتاب إعراب المعلقات لمحمد على طه الدرة: **فتح الكبير المتعال –إعراب المعلقات العشر الطوال**، ٢مج (في قسمين)، جدة: مكتبة السوادي، ط٢، ١٩٨٩م، القسم الثاني، ٢٦٨، وفي كتاب شرح القصائد العشر للتبريزي: **شرح القصائد العشر**، القاهرة، إدارة الطباعة الأميرية،١٣٥٢هـ ، ١١٣، حيث وردت رواية البيت على النحو الآتي:

وأصبح يُحْدى فيهمو من تلادكم مَـغَانِمُ شَـتى من إفـالٍ مُزَنَّم

وورد البيت في شرح أبو بكر الأنباري بقوله:

وأصبح يحدى فيكمو من إفالها مَـغَانِمُ شَـتى مِنْ إفـالٍ مُزَنَّم

أبو بكر الأنباري: شرح **القصائد السبع الطوال الجاهليات**، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة: دار المعارف، ط٦، دت، ٢٦٣.

[١٥٢] الزوزني: شرح المعلقات السبع، ٨٠.

[١٥٣] لسان العرب: أفل.

ولا يبتعد الوصف السابق عما ورد في معلقة لبيد بن ربيعة العامري. ففي قوله:

فوَقَفــتُ أســأَلُها، وَكَيــفَ سُــؤَالُنَا صُــمًّا خَوَالِـدَ مَـا يَبِـينُ كَلَامُهَـا(١٥٤)

وذلك في قوله: وكيف سؤالنا، فتحدث بلغة الجمع والسائل شخص واحد وهو الشاعر، ودليل ذلك في قوله: في أول البيت" فوقفت أسألها" فالأصل أن يقول: وكيف سؤالي، إذ المعنى: كيف يجدي هذا السؤال عن صاحبه وكيف ينتفع به السائل؟

فالسائل هو المسؤول. ومن ثم إذا عرجنا على تفسير ذلك من حيث اختبار كفاءة الشاعر اللغوية (المعجمية)، لوجدنا أن توظيف اللفظ المفرد سيؤدي إلى كسر تفعيلة عروض بحر الكامل (متفاعلن – ///o//o) التي توجد في البيت دون علة (فسؤالنا – ///o//o – متفاعلن). لندرك في أمثال هذه الحالات أن التوظيف اللغوي لدى الشاعر دائما ما يعبر عن خيارات لغوية متقدمة عن اللغة العادية المستعملة في إطار الفصحى.

وكذلك قوله:

تَــرَّاكُ أَمْكِنَــةٍ إِذَا لَــمْ أَرْضَــهَا أَوْ يَعْتَلِـقْ بَعْـضَ النُّفُـوسِ حِمَامُهَـا(١٥٥)

ورد في شرح الزوزني: "بعض النفوس حمامها" وأراد بالنفوس هنا نفسه فقط، ومن جعل بعض النفوس بمعنى النفوس فقد أخطأ لأن بعضاً لا يفيد العموم والاستيعاب(١٥٦)".

وأصل الكلام" أو يعتلق نفسي حمامها".

(١٥٤) الزوزني: شرح المعلقات السبع، ٩٤.

(١٥٥) المرجع نفسه، ١٠٩.

(١٥٦) المرجع نفسه، ١٠٩.

وقال أبو عبيدة: معناه كل النفوس، لأن الموت لا ينزل ببعض النفوس ولكنه ينزل بالنفوس كلها.

ولا يختلف ما رُصد فيما سبق عن قراءة معلقة عمرو بن كلثوم.

تَرانَـــا بَـــارِزِينَ وَكُـــلُّ حَـــيٍّ قَـــدِ اتَّخَـــذُوا مَخَافَتَنَـــا قَرِينَـــا[١٥٧]

خالف الشاعر التطابق من حيث العدد، وذلك في قوله: (وكلُّ حَيٍّ قَدْ اتَّخَذُوا)، فـ(حي) مفرد، وواو الجماعة في (اتخذوا) يعود على الجمع. وعدم قوله: (كل حي قد اتخذ) ربما يعود إلى أن عبارة (كل حي) تعبر عن الجمع تعبيرا واضحا بمعناها لا بلفظها.

فهل لذلك علاقة بمخالفة الوزن العروضي؟

من حيث الشكل العام، فإن أثر اتفاق العدد يؤثر في تغيير وزن (الوافر التام) في بيت عمرو بن كلثوم:

- //o///o – قدتتخذو – مفاعلتن
- // o/// o –مخافتنا – مفاعلتن
- //o/o –قرينا – فعولن

فلو نظم الشاعر على المفرد لانكسرت التفعيلة الأولى (مفاعلتن) من الشطر الثاني. ولما تتم تفعيلة بحر الوافر.

ويؤمن الباحث أن مثل هذا البعد التحليلي يؤدي إلى تفريغ عمل الأديب من العفوية التي يتمتع بها حال نظمه القصيدة، وبخاصة إذا تعلق الحديث بشاعر من شعراء المعلقات. حيث نقبل تبرير اتجاه الشاعر بالكلمات لموافقة الوزن، ولكن ليس في كل الحالات، ومنها هذه الحالة

(١٥٧) المرجع نفسه، ١٣٣.

التي يحدث فيها التوافق من حيث العدد. ويتضح التقارب مع هذه الفكرة فيما يأتي من تحليل للترخص الذي يصيب الشعر من حيث (النوع).

١-٢. الترخص من حيث النوع:

يعد النوع أو (الجنس) مقوما مهما من مقومات النحو العربي والكتابة العربية، ويتمثل دوره في إحداث الترابط في النص على أساس قوي بين مفرداته، لإنتاج معان منسجمة أيضا. ودون شك، فلا يستبين هذا الانسجام إلا من خلال بناء الجملة. وقد جاء في المعجم: الجنس معناه الأصل والنوع (المعجم الوسيط). ولكن على أي حال، فيوجهنا في هذا البحث المفهوم الذي يقصده النحاة، وقد ورد في موسوعة لاروس اللغوية: "النوع مقولة نحوية تقوم على تصنيف الأسماء إلى مذكر ومؤنث، ومحايد وفقاً لمجموعة الخصائص الشكلية التي تعد بمثابة قرائن نحوية للمطابقة في الصيغة والفعل[١٥٨].

وعندما ننظر إلى بعض المخالفات من حيث (النوع)، ربما نجدها مقبولة لغوياً، ولكن العودة إلى الأصل فيها لا يكون مقبولاً إلا في لغة النثر. ومن ذلك:

فَظَـــلَّ الْعَـــذَارَى يَـــرْتَمِينَ بِلَحْمِهَـــا وشَـــحمٍ كَهُـــدَّابِ الـــدِّمَقْسِ الْمُفَتَّـــلِ[١٥٩]

حيث يخاطب المؤنث بلغة المذكر، فقال: ظل العذارى والأصل فظلت العذارى يرتمين بلحمها. وإذا كان المحدد النوعي هنا وضعيا، أي يجلبه لفظ الكلمة (عذراء) التي تجمع على عذارى، ولا تقال إلا لأنثى الآدميين، فإن الفعل (ظل) تحوم حوله تساؤلات. ولكن الباحث يوافق

(158) Larousse: Dictionnaire de linguistique, p. ٢٣٠.

نقلا عن: كمال قادري: "خصائص تطابق النوع بين الفعل والفاعل في اللغة العربية، دراسة في مقتضيات النظام النحوي ومطالب الاستعمال"، **مجلة العلوم الإنسانية**، جامعة محمد خيضر بسكرة، ع٣، أكتوبر، ٢٠٠٢، ع٣.

[١٥٩] الزوزني: شرح المعلقات السبع، ١١.

بقضية السماع في مسألة التعبير اللغوي عن المذكر والمؤنث في العربية، وهذا منها. وقد سبق هذا البيت قوله:

_ ويـوْمَ عَـقَرْتُ لِلْـعَذَارَى مَطِـيَّتِي...

فالعذارء من النساء: البكر التي لم تفتض، والجمع عذارى. ولذلك، فمحدد (النوع) هنا محدد وضعي لا خلاف عليه. والمعنى لا خلاف عليه: "فجعلن يلقي بعضهن إلى بعض شواء المطية استطابة أو توسعا فيه طوال نهارِهنَّ... [١٦٠]".

يذكر ابن جني في الخصائص أن "تذكير المؤنث واسع جدا، لأنه رد فرع إلى أصل، لكن تأنيث المذكر أذهب في التناكر والإغراب[١٦١]". وعلى هذا فمذهب امرئ القيس في المعلقة يخضع لجهة الكلام وسياق اللفظ (العذارى) الذي يغيب معه دليل تنظره العين يدل على التأنيث.

وعلى النقيض من ذلك، عندما تتحكم قاعدة لغوية في القول الشعري، فلا يمكن افتراض بديل للمفردات التي يأتي بها الشاعر، وقد ظهر ذلك في قول امرئ القيس:

هَصَـــرَتْ بِفَـــوْدَيْ رَأْسِـــهَا فَتَمَايَلَـــتْ عَلَـيَّ هَضِـيمَ الْكَشْـحِ رَيَّـا الْمُخَلْخَـلِ[١٦٢]

"فقرينة النوع تقول بأن شكل كلمة (فعيل) تأتي مذكرا، ولكن كلمة (هضيم) أتت حالا للمؤنث الحقيقي، وهي على هذا الشكل المذكر. ولكن الشاعر لم يقل: (هضيمة)، لأن القاعدة تقول: إن (فعيلا) إذا كان بمعنى مفعول لم تلحقه تاء التأنيث للفصل بينه وبين فعيل إذا كان بمعنى الفاعل ومنه قول الله تعالى:﴿ إن رحمت الله قريب من المحسنين ٥٦﴾ (سورة

---

[١٦٠] المرجع نفسه، ١١.

[١٦١] ابن جني: **الخصائص**، تحقيق: محمد على النجار، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٣ج، ط٤، ١٩٩٩م، ج٢، ٤١٧.

[١٦٢] الزوزني: شرح المعلقات السبع، ٢٠.

الأعراف)[١٦٣]. ولذلك لا يقال بوجود ترخص من أي نوع في توظيف هذه الكلمة في هذا السياق.

ويرد في **معلقة زهير** ما فيه فسحة للشاعر للاختيار بين المذكر والمؤنث، وهو بيت واحد لا يكون فيه شاهد من الترخص في القاعدة النحوية:

وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعاً بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ القَوْلِ نَسْلَمِ
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيرِ مَوْطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيْهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمِ[١٦٤]

فالحديث هنا عن السلم، بالفتح والكسر، وهو لفظ يذكر ويؤنث. فالشاهد في البيت قول الشاعر: "فأصبحتما منها"، حيث إن الضمير في (منها) يعود على السلم في البيت السابق عليه. فهل يُقال هنا كما قال النحاة بأفضلية المذكر، وأنه الأصل في التعبير؟ يقول الله تعالى: ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ...٦١﴾ (سورة الأنفال). فقد عبر القرآن الكريم والشعر الجاهلي كلاهما بالتأنيث، بل إن كلمة (السلم) اكتسبت سياق التأنيث في الكلام العادي أكثر منه حين تذكّر، بسبب ورودها على هذه الهيئة في القرآن الكريم.

وإذا نُقل تفسير هذه الظاهرة إلى البيت الآتي من معلقة لبيد.

معلقة لبيد

فَمَضَى وَقَدَّمَهَا وَكَانَتْ عَادَةً مِنْهُ إِذَا هِيَ عَرَّدَتْ إِقْدَامُهَا[١٦٥]

[١٦٣] المرجع نفسه، ٢٠.

[١٦٤] الزوزني: شرح المعلقات السبع، ٧٩.

[١٦٥] المرجع نفسه، ١٠٢.

يخالف الشاعر التطابق من حيث النوع فقد أنث (كان) وذلك على الرغم من أنَّ (الإقدام) مُذَكّر، وقد قال الزوزني: "الإقدام هنا بمعنى التقدمة لذلك أنث فعلها فقال وكانت، أي وكانت تقدمه الأتان عادة من العير؛ وهذا مثل قول الشاعر: "**غفرنا وكانت من سجيتنا الغفر...**، أي وكانت المغفرة من سجيتنا[١٦٦]".

وإعراب (إقدامها): اسم كان مؤخر. ولكن هل لذلك علاقة بالضرورة؟ أي هل هناك ترخص في القاعدة النحوية حين وظف (لبيد) كلمة (إقدامها) مخالفا قاعدة التبعية في النوع؟ يقول صاحب كتاب (فتح الكبير المتعال): "كانت: أنث الفعل بتاء التأنيث مع أن اسمها الإقدام، وهو مذكر، ففي تأنيثه تأويلان: أولهما- عن الكسائي فقال: إذا كان خبر كان مؤنثا، واسمها مذكرا، وأوليتها الخبر فمن العرب من يؤنث كان، ويتوهم أن الاسم مؤنث إذا كان الخبر مؤنثا، وقال غير الكسائي: إنما بنى الشاعر كلامه (وكانت عادةً تقدمتُها)، لأن التقدمة مصدر قدمها إلا أنه لما انتهي إلى القافية، فلم يجد التقدمة تصلح لها، فقال: (إقدامها) [١٦٧].

وإذا كان ذلك أنموذجا فريدًا عند لبيد، سنجد أن الأمر يبدو واضحاً في قول عمرو بن كلثوم:

بِيَـــوْمٍ كَرِيْهَـــةٍ ضَـــرْباً وَطَعْنـــاً أَقَـــرَّ بِـــهِ مَوَالِيـــكِ العُيُونَـــا[١٦٨]

وذلك في قوله: (بيوم كريهة) فيوم مذكر، وكريهة لفظة مؤنثة.

"والكريهة: من أسماء الحرب والجمع الكرائه، سميت بها لأن النفوس تكرهها، وإنما لحقتها التاء لأنها أخرجت مخرج الأسماء مثل: النطيحة والذبيحة، ولم تخرج مخرج النعوت مثل: امرأة قتيل وكف خضيب[١٦٩]".

---

[١٦٦] المرجع نفسه، ١٠٢.

[١٦٧] محمد على طه الدرة: فتح الكبير المتعال -إعراب المعلقات العشر الطوال، ٥٣.

[١٦٨] الزوزني: شرح المعلقات السبع، ١٢٠.

"بيوم كريهة" أي بيوم وقعة كريهة، أي مكروهة وإنما ثبت الهاء في كريهة وهي في تأويل مفعوله لأنها جعلت أسماء بمنزلة النطيحة والذبيحة و" الكريهة" اسم لشدة البأس في الحرب[١٧٠].

وفي معلقة عنترة بن شداد:

فَوَقَفْتُ فيها نَاقَتي وكَأَنَّهَا فَدَنٌ لأَقْضِي حَاجَةَ المُتَلَوِّمِ[١٧١]

قوله: "وكأنها فدن" الضمير (الهاء) للمؤنث وكلمة (فدن) مذكر فخالف الشاعر التطابق من حيث النوع، وإعرابها (الهاء): اسم كأن جاء مؤنث، و(فدن) خبر كأن جاء مذكر.

وفي معلقة الحرث بن حلزة:

وكَأَنَّ المَنونَ تَرْدِي بِنَا أَرعَنَ جَوناً يَنجَابُ عَنهُ العَمَاءُ[١٧٢]

قال الأصمعي:" (المنون): الدهر، لأنه يذهب بمنة كل شيء، و المنَّةُ: القوة[١٧٣].

لكن الشاعر في هذا البيت أنث المنون لأنه أراد المنية ولو كانت بمعنى القوة لقال الشاعر:

وَكَأَنَّ المَنونَ يَرْدِي بِنَا.

ومنه قول الحارث أيضا:

حَوْلَ قَيْسٍ مُستَلئِمِينَ بِكَبْشٍ قَرَظِيٍّ كَأَنَّهُ عَبْلاءُ[١٧٤]

---

[١٦٩] المرجع نفسه، ١٢٠.

[١٧٠] أبو بكر الأنباري: شرح المعلقات السبع الطوال الجاهليات، ٣٧٦.

[١٧١] الزوزني: شرح المعلقات السبع، ١٣٧.

[١٧٢] المرجع نفسه، ١٥٩.

[١٧٣] أبو بكر الأنباري: شرح المعلقات السبع الطوال الجاهليات، ٤٦٠.

خالف الشاعر التطابق من حيث النوع وذلك في قوله: (كأنه عبلاء) فالضمير عائد على مذكر، وكلمة عبلاء لفظة مؤنثة وهي بمعنى الصخرة، والمقصود من القول" كأنه صخرة"، وإعرابها: اسم كان مذكر وخبرها عائد على مؤنث.

١-٣. الترخص من حيث الشخص:

معلقة عنترة بن شداد:

حَلَّتْ بِأَرض الزَّائِرينَ فَأَصبَحَتْ عسِراً عليَّ طِلاَبُكِ ابنَةَ مَخرَمِ[١٧٥]

تحول الشاعر من الغيبة إلى الخطاب فقال الشاعر: حلت بأرض الزائرين فذكر غائبه، ثم قال طلابك ابنةَ مَخْرَمِ فخاطب، فإن قال قائل كيف ذلك ؟. قيل له: العرب ترجع من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة[١٧٦].

وخالف الشاعر التطابق من حيث النوع فقال: "فأصبحتْ عَسِراً" الضمير(التاء) اسم أصبح مؤنث، والخبر (عَسِراً) مذكر.

٢. الترخص في التطابق في الشوقيات:

٢-١. الترخص من حيث العدد:

ولم يختلف الأمر كثيراً عند شوقي، فظاهرة التطابق لا تختلف مع مرور الزمن، فنراه يقول في قصيدته (كبار الحوادث في وادي النيل): (الخفيف)

قَد أَذَلَّ الرِجالَ فَهيَ عَبيدٌ وَنُفوسَ الرِجالِ فَهيَ إِماءُ[١٧٧]

---

[١٧٤] الزوزني: شرح المعلقات السبع، ١٦٤.

[١٧٥] المرجع نفسه، ١٣٨.

[١٧٦] أبو بكر الأنباري: شرح المعلقات السبع الطوال الجاهليات، ٣٠٠.

وذلك في قول شوقي: "الرجال فهي عبيد"، والأصل أن يقول (الرجال فهم عبيد) حيث إن الرجال جمع دال على الإنسان. فاختلف التطابق من حيث العدد، (فالرجال) جمع و(هي) مفرد.

ومن المخالفة في التطابق من حيث العدد قول شوقي: (الطويل)

وَهَـل قَـبلَهُم مَـنْ عَـانَقَ النَّـارَ رَاغِبـاً وَلَـــو أَنَّـــهُ عُبّادُهـــا المُتَرَهِّـــبُ[١٧٨]

وذلك في قول الشاعر:" أنه عبادها المترهب" فالضمير في"أنه" للمفرد، وعبادها جمع، فكان على الشاعر أن يقول: ولو أنه عبدها المترهب.

ولكن ربما يقصد الشاعر أن يقول: ولو أنه من عبادها فألجأته الضرورة إلى بناء البيت على هذا الشكل حتى يستقيم وزن البيت، وهذه المسألة فيها شيء من الحقيقة، فهل يمكن نحوياً تقدير حرف الجر (من)؟ إن القاعدة النحوية التي سبقت في موضع حذف حرف الجر، لا يمكن تطبيقها في هذا المقام. وعلى هذا، فإن التفسير باللجوء إلى الضرورة أمر واضح في هذا البيت الذي يبدو بناؤه غاية في الغرابة، يذكر بالأبيات الفرائد والشواهد الغريبة في النحو العربي.

إن وزن البيت (الطويل) هو الذي ألجأ الشاعر إلى هذه الضرورة –لاغير– ولوْ أنَّهُ عُبَّادها المترهب

ولوأن	نهوعببا	دهلم	ترههبي
o/o//	o/o/o//	/o//	o//o//

(١٧٧) أحمد شوقي: **الشوقيات،** ٤ج، ٢مج، القاهرة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، دت، مج١، ج١، ١٩.

(١٧٨) المرجع نفسه، ٥١.

فعولن مفاعيلن فعولُ مفاعلن

ويبدو واضحاً صعوبة تكون التفعيلة الثانية(//o/o/o – نهوعببا)، ففيها إشباع إجباري للضمير(هو)، وانتقال إجباري يكسر قاعدة الحذف لحرف الجر من ناحية. ومن ناحية أخرى يكسر قاعدة التطابق بين الضمير في (أنه) وحالة الجمع التي ترد عليه الكلمة.

وعلى الرغم من هذا التفسير، يبدو أن شوقي يقصد –هنا– حذف حرف الجر وهذا يخرج البيت عن محل الشاهد.

ومنه قوله في قصيدة (ذكرى المولد): (الوافر)

وَلـــي بَـــينَ الضُـــلوعِ دَمٌ وَلَحـــمٌ هُمـا الـواهي الَّـذي ثَكِـلَ الشَـبابا[١٧٩]

خالف الشاعر التطابق في قوله: هما الواهى، هما مثنى، الواهى مفرد فخالف الشاعر هنا من حيث العدد، فثنى شوقي الضمير (هما) وأخبر عنه بلفظ المفرد (الواهي).

فاكتفى بكلمة (الواهي) للتعبير عن الدم واللحم لأنهما على أمر واحد، فاشتركا في الحكم، ومن ذلك قول الله تعالى:﴿ فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين ١٦﴾ (سورة الشعراء)، ثنى الضمير (إنا) وأخبر عنه بلفظ (نؤُ).

وفي بيت شوقي فهذه مخالفة واضحة في (العدد) بين الضمير وما يعود إليه... وليس لها مبرر واضح إلا المحافظة على وزن(الوافر) في القصيدة. وقد تغير من جراء ذلك قرينة العلامة الإعرابية من حالة المثنى المفترض وجودها، إلى حالة الإفراد في كلمة (الواهي). وليس ما يلجئ الشاعر إلى هذا التغيير إلى هذه المخالفة إلا التفسير العروضي الذي يؤثر مباشرة في تغيير العلامة.

(١٧٩) المرجع نفسه، ٦٨.

هُما الواهي الَّذي ثَكِلَ الشَبابا

هملواهل	**لذى ثكلش**	**شبابا**
o/o/o//	o///o//	o/o//
مفاعلْتن	مفاعلتن	فعولن

فلا يخفى على القارئ أن " الواهيان" تكسر هذا الوزن الذي قوَّمَهُ وجود حالة الإفراد في التفعيلة الأولى: (هملواهل–//o/o/o).

ويبدو ذلك واضحاً في الإخبار عن الجمع بالمفرد في قول شوقي: (الكامل)

فقُصـُـورُهم كُـــوخٌ وبيـــتُ بَـــداوةٍ وقبـــورُهم صَـــرْحٌ أَشَـــمُّ وجَوْسَـــقُ[١٨٠]

فالمبتدأ (قصورهم– قبورهم) جمع، والخبر مفرد (كوخ – صرح)، وهو أمر يلجئ الشاعر إلى تغيير العلامة الإعرابية بدون شك –من حالة إلى حالة ويجبره على ذلك في هذا البيت– الوزن وحسن التقسيم البلاغي .

يتحقق بحر الكامل، وحسن التقسيم من إذا أحصينا عدد الحركات والسكنات التي يقيمها الشاعر:

فقصـورُهم كُوخٌ	**وقبورُهم صرْحٌ**
o/o/ o// /o///	o/o/ o//o///
متفاعلن	متفاعلن

[١٨٠] أحمد شوقي: الشوقيات، مج١، ج٢، ٦٦.

حيث يحدث هذا التوازي الإيقاعي الذي يبحث الشاعر عنه في اللاوعي وفي الذات الشاعرة. فإن كان يقصد (قصورهم كأكواخ- أو قبورهم كالصروح). فإن التعبير الشعري القائم يعبر عن ذلك في ذهن المتلقي الذي لا يلتفت هو الآخر إلى أهمية إقامة القاعدة النحوية المجردة في إحداث التوازن العددي في الكتابة.

ومنه: (الكامل)

بَلَــدٌ بَنَــوْهُ الأَكرَمــونَ قُصورُهُــم وَقُبــورُهُم وَقــفٌ عَلــى نُزَلائِــهِ[١٨١]

(بلد): يقصد به فلسطين وسوريا جميعاً، فقال الشاعر بلد ولم يقل بلدان، فعبر عن المثنى بالمفرد لاستقامة الوزن.

ومنه: (المديد)

قَــد جَــرَت أَلسُــنُهُم صــافِيَةً جَرَيــانَ المــاءِ فــي أَصــلِ العُشُــبِ[١٨٢]

صافية حال من ألسنهم وجاءت مفرد وألسن جمع، والأصل في الحال أن تطابق صاحبها في الجنس والعدد، فالشاعر خالف هنا من حيث العدد، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا ٨٠﴾ (سورة يوسف).

فـ(نجيا) حال من ضمير الفاعل في (خلصوا)، وهي واحد وصاحبها جمع، والأصل أن تكون جمعاً لتطابق صاحبها.

ومنه: (الكامل)

فهمــا الحيــاة، وكــل دُورِ ثقافــةٍ أو دورِ تعلــيمٍ هِــي الأجسَــامُ[١٨٣]

(١٨١) أحمد شوقي: الشوقيات، مج٢، ج٣، ١٣.

(١٨٢) المرجع نفسه، ٣٦.

(وكل دور ثقافة، أو دور تعليم هي)، ولم يقل الشاعر هما "قد يذكر شيئان في الكلام، ويعود الضمير على أحدهما، والغالب أن يعود على أقرب مذكور، نحو قوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ٤٥ ﴾(سورة البقرة). حيث تقدم في الآية الكريمة اسمان، أحدهما مذكر (الصبر) والآخر مؤنث (الصلاة)، ثم جاء الضمير العائد على الثاني منهما وهو (الصلاة)، فقال تعالى (وإنها) بدل: (وإنهما) [١٨٤].

ومنه قول شوقي: (الكامل)

أَمسَـــى بِهَـــا كُـــلُّ البيُـــوتِ مُبَوَّبـــاً ومطنَّبـــاً، ومُسَـــيَّجاً، ومُسَـــوَّرا[١٨٥]

حيث خالف الشاعر التطابق من حيث العدد، فلفظ (كل) اسم أمسى يدل على جمع، والخبر (مبوباً) مفرد. فخالف اسم أمسى خبرها من حيث العدد.

والبيوت جمع تكسير يدل على مؤنث، ولفظ (مبوباً) مفرد مذكر، والأصل أن يقول الشاعر مبوبةً، ولكن ليس للشاعر الحرية في الاختيار بين اللفظين لإتمام تفعيلة (الكامل) (///o//–o) التي تتحقق فقط مع خيار الشاعر (مبوباً) في حالة الإفراد والتذكير. ولا يتعلق الأمر هنا بالعلامة الإعرابية، فهي في الحالتين قرينةُ (الفتح) والتنوين أيضا.

وفي النهاية، لا يمكن أن نجد فارقاً بين توظيف العلامة الإعرابية، أو الخروج على التطابق، بين النص القديم (المعلقات) والنص الحديث (الشوقيات). ولكن الملاحظة الجديرة بالنظر، هي كثرة العدول عن تطابق (العدد) في النص الحديث عنه في القديم.

---

[١٨٣] أحمد شوقي: الشوقيات، مج٢، ج٤، ١٢.

[١٨٤] محمد بن صالح: قرينة المطابقة في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية، **بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في النحو العربي**، جامعة الحاج لخضر باتنة، ٢٠١٠م ، ١٥١.

[١٨٥] أحمد شوقي: الشوقيات، مج٢، ج٤، ٤٦.

والملاحظة الثانية، تتمثل في أن ما ذُكر في هذه النقطة من (عدول) أو (ترخص) حول توظيف العدد، أو تطابقه، له مخرجه في القاعدة النحوية في الإخبار عن المفرد بالجمع أو بالجمع عن المفرد. وقد ورد ذلك عند شوقي كثيراً مع تعذر إحصاء الظاهرة في الشوقيات على النحو الذي ورد هنا.

٢-٢. الترخص من حيث النوع:

ويبدو ذلك واضحاً في قوله من قصيدة (كبار الحوادث في وادي النيل): (الخفيف)

قَـــد أَذَلَّ الرِجـــالَ فَهـــيَ عَبيـــدٌ وَنُفـــوسَ الرِجـــالِ فَهـــيَ إِمـــاءُ[١٨٦]

وذلك في قوله: (الرجال فهي عبيد)، والأصل أن يقول: (الرجال فهم عبيد) فاختلف التطابق من حيث النوع والعدد، فالرجال مذكر و(هي) للمؤنث، والرجال جمع و(هي) للمفرد.

ومن قصيدة (صدى الحرب): (الطويل)

تَـروحُ المَنايـا الـزُرقُ فيـهِ وَتَغتَـدي وَمـا هِـيَ إِلّا المَـوجُ يَـأتي وَيَـذهَبُ[١٨٧]

قول شوقي: " وما هي إلا الموج يأتي ويذهب"

(هي الموج)– مبتدأ – وخبر، والضمير مؤنث والموج مذكر فخالف من حيث النوع،

ويبدو ذلك بوضوح أيضاً في قوله: (الطويل)

أَهَـذا سِـلاحُ الفَـتحِ وَالنَصـرِ وَالعُـلا أَهَذا مَطايـا مَـن إِلـى المَجدِ يَركَـبُ[١٨٨]

---

[١٨٦] أحمد شوقي: الشوقيات، مج١، ج١، ١٩.

[١٨٧] المرجع نفسه، ٤٦.

فـ(هذا) اسم إشارة يعبر عن المفرد المذكر، وكلمة (مطايا) جمع وهي مؤنثة، فخالف الشاعر التطابق من حيث النوع، ولو قال الشاعر: أهذه مطايا لصح التعبير؛ لأن هذه اسم إشارة يأتي مع الجمع غير العاقل. وقد حافظ شوقي على استقامة بحر الطويل باختياره هذا.

ومن قصيدة (عبث المشيب): (الكامل)

إنَّ الحِجــابَ عَلــى (فُــروقٍ) جَنَّــةٌ وَحِجـابُ مِصـرَ وَرِيفُهـا مِـن نـارِ[١٨٩]

أخبر الشاعر عن اسم (إن) المذكر بالمؤنث، وذلك في قوله: (إنَّ الحِجابَ،...جَنَّةٌ).

فعدل الشاعر عن المطابقة من حيث النوع، وهذا مثل قول الله تعالى:﴿ بل الإنسان على نفسه بصيره ١٤ ﴾(سورة القيامة).

ومن قصيدة (الهلال الأحمر): (البسيط)

إنَّ الحَيــــاةَ نَهــــارٌ أَو سَــــحابَتُهُ فَعِـش نَهـارَكَ مِـن دُنيـاكَ إِنسـانا[١٩٠]

(إن الحياة نهار): الحياة اسم إن، نهارٌ: خبر إن، والجملة اسمية تتكون من مبتدأ وخبر، ومن الأمور التي اشترطها النحاة في التطابق بين المبتدأ والخبر الجنس (التذكير والتأنيث)، فأخبر الشاعر عن المؤنث (الحياة) بالمذكر (نهارٌ).

ومنه: (الخفيف)

أَنــتِ سَــطرٌ وَمَجــدُ مِصــرَ كِتــابٌ كَيـفَ سـامَ البِلـى كِتابَـكَ فَضّـا[١٩١]

---

[١٨٨] المرجع نفسه، ٥٧.

[١٨٩] المرجع نفسه، ١٣١.

[١٩٠] أحمد شوقي: الشوقيات، مج١، ج١، ٢٤٧.

(أَنتِ سَطرٌ): المبتدأ مؤنث والخبر مذكر، فخالف من حيث التذكير والتأنيث. والأمر هنا لا يرتبط بالضرورة، ولكن يرتبط بالدلالة لانسجام المعنى، ومخالفة الشاعر لا ترتبط بالوزن في هذا الشاهد لأن كلمة (أنتِ – /o/) تمثل وتد مفروق هو نفسه إذا قال الشاعر (أنتَ)

ومنه: (الطويل)

هِيَ المَحضُ لا يَشقى بِهِ اِبنُ تَميمَةٍ غِذاءً وَلا يَشقى بِهِ اِبنُ خِضابِ[١٩٢]

أخبر عن المبتدأ المؤنث بالخبر المذكر وذلك في قوله (المحض) فالمبتدأ مفرد مؤنث والخبر مفرد مذكر فخالف الشاعر من حيث النوع (التذكير والتأنيث).

ومنه: (الخفيف)

إنَّما الهِمَّةُ البَعِيدَةُ غَرسٌ متأتي الجَنى، بطيءُ الكمائم[١٩٣]

الهمة: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة، وغرسٌ: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة.

خالف الشاعر هنا من حيث الجنس (التذكير والتأنيث) فالمبتدأ لفظة مؤنثة والخبر مذكر، ومن الأمور التي اشترطها النحاة في التطابق بين المبتدأ والخبر: الجنس (التذكير والتأنيث) فيجب أن يطابق المبتدأ في التذكير والتأنيث، وهذا ما عبر عنه سيبويه بقوله: (واعلم أن المبتدأ لا بد له أن يكون المبنىُ عليه شيئاً هو (هو).

خاتمة:

(١٩١) أحمد شوقي: الشوقيات، مج١، ج٢، ٥٧.

(١٩٢) أحمد شوقي: الشوقيات، مج٢، ج٣، ٣١.

(١٩٣) المرجع نفسه، ١٥٢.

تبين لنا من خلال هذا العرض مدى اهتمام شعر المعلقات والشوقيات بقرينة التطابق (العلامة الإعرابية – النوع – التعين – الشخص) للوقوف على المعنى الحقيقي للجملة، وعلى الرغم من بعد الفترة الزمنية بين النصين (المعلقات والشوقيات) فإن مظاهر التطابق لم تختلف قديماً أو حديثاً، فقوانين اللغة تدور مع الجملة حيث دارت.

وقد التزم شعراء المعلقات وكذلك شوقي بهذه القوانين وتلك المظاهر –مظاهر التطابق– من أجل الاهتمام بالمبنى في سبيل أداء المعنى، والعناية بالتركيب وتحقيق الترابط والانسجام بين أجزائه. ويظهر ذلك في قول امرئ القيس:

"مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً..."

حيث نجد انسجام المعنى، وحسن التراكيب، ووضع الكلمات بعضها بجانب بعض.

وكذلك قول شوقي:

"والدينُ يُسرٌ والخلافةُ بيعةٌ..."

حيث نرى مدى الثنائية بين الاسم والاسم (الخلافة بيعة) في أداء المعنى.

وكما خرج الشعراء على العلامة الإعرابية لبناء البيت الشعري، فقد خرجوا كذلك على مظاهر التطابق للغرض نفسه؛ لينقلوا لنا معنى دلالياً ، وهذا ما أشار إليه البحث تحت عنوان (الترخص في التطابق بين المعلقات والشوقيات)، فخرج أصحاب المعلقات على المألوف في نظام الجملة من أجل بناء البيت الشعري، وخرج شوقي للسبب نفسه، فالترخص في التطابق ليس من باب الخطأ في الاستعمال؛ لأنه يشكل واقعاً ملموساً في الشعر العربي بصفة عامة وفي شعر المعلقات والشوقيات بصفة خاصة.

المصادر والمراجع

أولا- المصادر:

١. الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم : **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات،** تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة: دار المعارف، ط٦، دت.

٢. التبريزي، زكريا يحيى بن علي (٤٢١-٥٠٢هـ): **شرح القصائد العشر**، القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية، ١٣٥٢هـ.

٣. الدرة، محمد على طه: **فتح الكبير المتعال -إعراب المعلقات العشر الطوال**، ٢مج (في قسمين)، جدة: مكتبة السوادي، ط٢، ١٩٨٩م.

٤. الزوزني، أبو عبد الله الحسين: **شرح المعلقات السبع،** القاهرة: مكتبة المتنبي، دت.

٥. شوقي، أحمد: **الشوقيات،** ٤ج، ٢مج، القاهرة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، دت.

ثانيا- المراجع:

١. بحيري، سعيد حسن: **علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)،** القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، ط١، ١٩٩٧م.

٢. ابن جني، أبو الفتح عثمان (٣٢٢-٣٩٢هـ): **الخصائص،** تحقيق: محمد على النجار، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٣ج، ط٤، ١٩٩٩م.

٣. حسان، تمام: **اللغة العربية معناها ومبناها،** القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٧٩م.

٤. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد (٦٨١هـ): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،** تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ج٢، ١٩٧٢م.

٥. السامرائي، فراس عصام شهاب: **المطابقة في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم** – رسالة ماجستير، كلية الآداب – جامعة البصرة، ٢٠٠٥م.

٦. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٤٨-١٨٠هـ): **الكتاب،** تحقيق: محمد كاظم البكاء، ٢مج، بيروت: مؤسسة الرسالة، الأردن: دار البشير، ط١، ٢٠٠٤م.

٧. ابن صالح، محمد: قرينة المطابقة في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية، **بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في النحو العربي،** جامعة الحاج لخضر باتنة، ٢٠١٠م.

٨. عبد اللطيف، محمد حماسة: **النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي–الدلالي،** القاهرة: دار الشرق، ط١، ٢٠٠٠م.

٩. عبد اللطيف، محمد حماسة: "فاعلية المعنى النحوي في بناء الشعر"، مجلة **(دراسات عربية وإسلامية)** سلسلة أبحاث جامعية يشرف على إصدارها الدكتور حامد طاهر، دت.

١٠. فضل، صلاح: **نظرية البنائية في النقد الأدبي،** القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ٢٠٠٣م.

١١. قادري، كمال: "خصائص تطابق النوع بين الفعل والفاعل في اللغة العربية، دراسة في مقتضيات النظام النحوي ومطالب الاستعمال"، **مجلة العلوم الإنسانية،** جامعة محمد خيضر بسكرة، ع٣، أكتوبر، ٢٠٠٢، ع٣

١٢. القرطبي، شمس الدين: **الجامع لأحكام القرآن،** تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م.

١٣. ماريوباي: **أسس علم اللغة،** ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، القاهرة: عالم الكتب، ط٨، ١٩٩٨م.